المحاضرة الثالثة:

الاتجاه التجديدي في النقد العربي الحديث

تمهيد: بما أن الخبرات الأدبية والنقدية تراكم بعضها على بعض فإنه لا يمكن أن تنقطع صلة القديم بالحديث.

وقد استفادت حركة التجديد أو مرحلة التجديد مما قبلها، كما أن كثيرا من الأفكار التي طرحت في مرحلة الإحياء نجدها موجودة في مرحلة التجديد وإن كانت قد تطورت بطبيعة الحال.

فبعد أن أعيد للمواهب الأدبية شيء من الحياة عن طريق تمثل النماذج القديمة التي توارثها العرب عن العصور الزاهية للأدب والنقد. بدأت مرحلة التجديد فيهما.

وكان للأدباء والنقاد والمثقفين الذين حصلوا على قدر من الثقافة الأوروبية دور الريادة في هذا الاتجاه التجديدي، وقد جمع هؤلاء بين النظرية العربية في الأدب ونقده وبين النظرية الغربية، وحاول الكثير منهم المزج بين النظريتين والطريقتين، وكان من ثمرة ذلك أن دخلت أفكار جديدة، ونظريات جديدة، ومذاهب، ورؤى وأفكار جديدة، أضيفت إلى الأفكار التراثية العربية أحياها الجيل الأول، جيل مدرسة الإحياء والبعث.

ومن أهم رواد التجديد "المنفلوطي"، "مطران خليل مطران"، ومنهم أيضا مجموعة من المثقفين الذين جمعوا بين الثقافة التراثية العربية، والثقافة الغربية ومن أبرزهم: "طه حسين"، "محمد حسين هيكل"، "مصطفى عبد الرزاق"، "أحمد أمين"، "أحمد حسن الزيات"، "أحمد ضيف"، "أمين الخولي"، "زكي مبارك"، "عبد الوهاب عزام"، وغيرهم، وقد ذهب هؤلاء يطلبون مناهج جديدة في الدرس الأدبي والنقد العربي، درس بعضهم في الجامعات المصرية، وتعلم الكثير منهم اللغات الأجنبية وأخذوا يفتحون نوافذ جديدة على الثقافة الغربية، الفرنسية والإنجليزية واليونانية، أخذ هؤلاء أيضا يعرضون الآراء التي استفادوا منها في الدراسات والآداب الغربية.

فكان لهم تأثير بالغ في الحياة النقدية والأدبية ومهدوا الطريق بعد ذلك لظهور مدارس تجديدية كبرى.

إرهاصات التجديد في النقد الأدبي الحديث[1]:

- ظهور الصحافة واهتمامها بنشر كل ما يتعلق بالشعر والنثر والنقد.
- قدوم نقاد وأدباء من الشام إلى مصر، وانفتاحهم على الثقافات الغربية الإنجليزية، الفرنسية واليونانية.
- تحويل المقاييس النقدية القديمة إلى نظريات جديدة ومعايير متطورة في ضوء الثقافة الغربية.

---

[1] ينظر عز الدين إسماعيل: **الشعر العربي المعاصر**، قضاياه، وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ص19 وما بعدها.

- الارتقاء بالنقد من مرتبة تذوق النصوص وتحليلها إلى مقارنتها وموازنتها بالنقد وبالأدب العربي، مع الإشارة إلى

- مواطن الضعف والقوة فيها[1].
- ظهور كتابات نقدية تهتم بفنون جديدة على الأدب العربي كنقد القصة والمسرحية، نقد المقالة الأدبية، الكلام عن الخيال الشعري، الإيقاع في الشعر، الصدق الفني والنفسي.
- ظهور نماذج نقدية مستمدة من الدراسات الغربية: كالمنهج النفسي، الاجتماعي، والتاريخي.

ملامح التجديد قبل مدرسة الديوان:

لم يكن التجديد في النقد خلقاً جاهزاً، ولم تكن مدرسة الديوان أول حامل للوائه، بل سبقتها محاولات كثيرة تبناها قلة من النقاد فرادى لا جماعات، ومنهم المذكرون في عنصر سالف ويذهب بعضهم إلى أن النقد الأدبي الحديث مر بثلاث مراحل هي: مرحلة البعث والإيحاء، مرحلة التجديد، ومرحلة الثورة التي تزعمتها جماعة الديوان.

آراء المنفلوطي التجديدية في الشعر: رغم شهرة هذا النقد في ميدان الكتابة إلا أن له شذرات في النقد لعل أهمها:

- الشعر عنده هو التأثير في المشاعر والعقول والنفوس، فليست العبرة بالقافية والبحر، بل بالخيال، فالنثر الفني شعر عنده أيضا، وهو في هذا يقترب ممن قالوا مؤخرا بقصيدة النثر.
- مكونات الشعر في نظره: تأثير، جمال، نغم وصدق، وهو يرفض التعريف الآلي للشعر، ويتهم رواده بالاكتفاء بالمسائل النحوية والصرفية، والعروضية متجاهلين جوهره.
- العمل الأدبي وحدة متكاملة، يكمل فيها اللفظ المعنى أو يضطرب اللفظ باضطراب المعنى في نفس صاحبه.
- نبذه للتشديد اللغوي في الأساليب التي يصر فيها بعضهم على تقليد القدامى، مما أدى في كذا حين إلى الجمود لدى بعضهم، أو السقوط في شرك العامية حينا آخر، لدى الذين سئموا هذا التقيد في التقليد.
- كان "المنفلوطي" متسامحا في تجديد الأساليب ورأى أن الجمود اللغوي في البيئة العربية أمر خطير ومرفوض، وكان يلوم على اللغويين، ويسميهم عبدة الألفاظ والحور لأنهم ظلوا يتشددون في اللغة.

آراء خليل مطران التجديدية: ركز على إعادة النظر في البناء الفني للقصيدة من خلال:

- الدعوة إلى وحدة القصيدة العربية حيث نبذ التفكك الحاصل في القصائد القديمة الناتج عن تعدد الأغراض، مما يغيب الارتباط بين الأبيات في المعاني.

---

[1] ينظر محمد رجب البيومي: **بين الأدب والنقد**، ص83 وما بعدها.

- تحرير الشعرمن المناسبات، كمدح ذوي الجاه والسلطان، تهنئهم ،رثائهم، الاعتذار إليهم، لكنه لم يتخلص هو الآخر من هذا الطابع في بعض شعره.
- الدعوة إلى إدراج الاتجاه القصصي في الشعر.
- الشعر في جوهره تعبر عن الشعور الحر، ومطابقة للحقيقة، دون مبالغة أو تقصير، فهو منبه وحاث اعتمادا على الرموز والتصوير.

مدرسة الديوان في النقد العربي الحديث:

تمهيد: الديوان مصطلح أطلق على مجموعة من الشعراء والنقاد مثلوا مدرسة الديوان، وهم رواد التجديد في الأدب العربي شعراً، نثراً ونقداً.

والثلاثة هم: "عبد الرحمن شكري"، "عباس محمود العقاد"، "إبراهيم عبد القادر المازني"، تميزت المدرسة بمذهبها الرومنسي، كما تعد مرحلة مهمة في النقد الأدبي الحديث. لما تضمنته من آراء ونظريات، وممارسة للنقد التطبيقي في أشهر أعمال الشعراء والكتاب المعاصرين لهذه الجماعة.

كان للجماعة أثر بالغ الأهمية في الحياة الأدبية وقتها، بفضل التطبيق النقدي الذي مارسه العقاد على شعر شوقي وعلى شعر حافظ إبراهيم، وكذلك التطبيق النقدي الذي كتبه المازني في شعر حافظ إبراهيم وفي كتابات المنفلوطي.

رغم أن المدرسة عرفت بروادها الثلاثة: "العقاد"، "المازني"، "شكري" إلا أن إصدارها النقدي الذي حمل عنوان "الديوان في النقد والأدب" لم يشارك فيه القطب الثالث من روادها ذلك أن سنة صدوره (1921م) عرفت فساداً للعلاقة بين "المازني" و"شكري" حيث تعرض الأول للهجوم على الثاني في الكتاب.

على أن ذلك لم يحل دون اشتراكهم في التصور الجديد للنقد والدراسة الأدبية خاصة، لأنهم تشربوا الثقافة الإنجليزية والفرنسية وحاولوا نشر مبادئها، وتغيير نظرة الجمهور الذي شغله كل من "شوقي"، "حافظ" و"المنفلوطي" بما كانوا يؤلفونه.

وقد أشار العقاد إلى منابع التأثير في مدرستهم كمدرسة النبوءة والمجاز الإنجليزية التي ازدهرت أوائل القرن التاسع عشر، ومدرسة الواقعية المجازية التي تلتها.

شخصيات المدرسة:

أ. عبد الرحمن شكري: تميز بخاصية نقدية فريدة يعود هذا لخبرته النقدية وإطلاعه الواسع على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية، وما ترجم إليها من اللغات الأخرى. فالعقاد يشهد له بسعة الإطلاع والإحاطة بخيرة ما في كتب الأدب والتاريخ.

ويعد شكري من المجددين في أدبنا العربي المعاصر من خلال مذهبه الشعري الجديد الذي حققه في الدواوين السبعة التي نشرها في الفترة التي تقع بين سنة 1918م، وسنة 1959م.

ب. إبراهيم المازني: شخصية المازني مرت بمرحلتين، مرحلة أولى كانت فيها شخصيته أشد انفعالا وإسرافاً وتقلباً بين عواطفه المهتاجة.

أما مرحلته الثانية: فقد استوت فيها شخصيته على فلسفة ساخرة في الحياة تجلت في مجموعة مقالاته وقصصه، ويظهر هذا العراك بين الشخصيتين في مقدمة قصته الموسومة بـ "قصة ابراهيم الكاتب".

ج. العقاد: ما يميز العقاد سعة إطلاعه وعمق نظرته، وغزارة إنتاجه، فقد أنفق عمره كله في القراءة والكتابة حتى أثرى أدبنا الحديث بعدد ضخم من المؤلفات التي تربو عن سبعين مؤلفاً، وقد كان نقده عنيفاً مما جر عليه خصومات كثيرة وعداوات متعددة، فالعقاد من أولئك الشعر- كما يقول محمد مندور-الذين يصح أن يقال فيهم مثلما قيل في المتنبي: من أنه ملأ الدنيا وشغل الناس وأثار الصداقات والعداوات.

أسباب قيام مدرسة الديوان: هناك سببين رئيسين لقيام المدرسة.

السبب الأول: وهو مباشر يتمثل في أن هذه المدرسة قامت لتعلن عن رفضها لما هو عليه الشعر والنقد القديم من انصراف عن واقع الحياة المتجدد، فالشعراء في تلك الفترة كانوا لا يزالون يبكون الأطلال ويذكرون الديار والأحبة وهذا ليس مواتياً لما هو عليه حال العصر.

كما أن الجماعة رفضت تسخير الشعر للتقرب من الطبقة الحاكمة، وأن يكون شعر مناسبات إلى جانب تفكك البناء الشعري في القصائد، ودعت إلى إرساء مبدأ هام قوامه التعبير الصادق والعواطف، والاستجابة لدواعي القلب والخيال، والتعبير عن الوجدان ومناجاة الطبيعة.

أما السبب الثاني: وهو غير مباشر يتمثل في طموح أعضاء الجماعة في احتلال مكانة بارزة في النهضة العربية وكان العائق الذي حال دون تحقيقهم لطموحهم هو أن هناك جماعة من الشعراء تكبرهم سناً قد حققوا هذه المكانة من بينهم، "شوقي"، "حافظ إبراهيم"، وغيرهم من الشعراء. الذين تمتعوا بالثقافة الفرنسية، رغم ذلك بقوا على سننهم في التقليد واتباع النهج الإحيائي القديم.

يتضح مما سبق أن هناك علامات تشير إلى الثقافة الغربية لجماعة الديوان، إذ أنها تأثرت بالرومانسية الإنجليزية "وقد إعترفت جماعة الديوان بهذا التأثر، وعدته فتحا جديدا على الأدب الحديث[1]"

وها هو العقاد يؤكد أن " هزليت هو إمام مدرستهم (يعني مدرسة جماعة الديوان)،كلها في النقد لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة..[2]"

أهم القضايا النقدية التي عالجتها جماعة الديوان:

أ/- قضية تجديد معنى الأدب: مفهوم الأدب عند الجماعة مرادف للحياة ويعود سبب ذلك إلى أن أصحاب الديوان يعتبرون كل منهما شعور ،والشعور في الأدب يعبر عنه بوسائل جميلة، وتعبيرات مميزة ويقصد بالحياة هنا الحياة النفسية البشرية، حياة العقل، حياة الروح، وحياة الشعور، فمتى كانت الحياة سليمة، كان الأدب كذلك متطوراً، ومتى كان العكس، كان الأدب يسير في الاتجاه المعاكس.

---

[1] محمد مصايف: **جماعة الديوان في النقد**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص70.

[2] المرجع نفسه.

ب/- مفهوم الشعر:امتلك أصحاب الديوان نظرة جديدة عن الشعر حددها العقاد بقوله " إن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق" ويقول " إن الشاعر العظيم هو من تتجلى في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وحبه لها، وعلانيتها وأسرارها" ويقول أيضا: " والشاعر الذي لا تعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف".

يتميز الشعر عندهم بعنصر الذاتية، فهو شعر يعبر عن مشاعرهم الشخصية، إنه قيمة إنسانية، تعبير عن الوجدان والذات، فيه دعوة إلى التجديد مع بقاء الذوق الأدبي العام لتكوين ثمرة تجربة نقدية وأدبية فريدة.

إذن مفهوم الشعر عندهم هو نفسه مفهوم الشعر الرومانسيين الإنجليز من حيث كونه تعبير عن النفس ومشاعرها، وهو انسياب تلقائي للمشاعر القوية، وتدفق للأساليب الشعرية، تثور من خلاله عواطف الشاعر لتتصل بالعالم الخارجي في شكل لوحة تكون تعبيرا عن مظاهر الوجود الإنساني.

ج/- وظيفة الشاعر: لم تربط الجماعة الشعر بوظيفته الأخلاقية ولا الدينية ولا الاجتماعية، وإنما نحت منحاً جديداً دعت فيه إلى الصدق في الإحساس والصدق في التعبير. حتى أننا نجد "المازني" نفسه يعرف الشعر على أنه "خاطر لا يزال يجيش بالصدر، حتى يجد مخرجا ويصيب متنفسا"، ومعنى ذلك أن الشاعر لا يقول الشعر بفعل إرادي، وإنما يقوله عندما تجيش الخواطر في نفسه وفي صدره، وتتلمس لها مخرجا فتنطلق منه نفسه شعراً غنائياً شخصياً، وبذلك تنحصر وظيفة الشعر في التنفيس الشخصي عن قائله.

والرومانسية تحدد للشعر هدفين اثنين:

الأول: توفير المتعة للقارئ عن طريق إشراكه في المتعة الوجدانية التي يحس بها الشاعر.

الثاني: هو الكشف عن الحقيقة في أعمق صورها وأتمها.

وجماعة الديوان تلح في كثير من أقوالها على هذه الوظيفة للشعر. يقول شكري: "إن وظيفة الشاعر في الإبانة عن الصلات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره، والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق..."[1].

د/- قضية التعبير الشعري: ونقصد بها الصورة الشعرية أي كيف يعبر الشاعر، ويظهر ذلك من خلال نظرة العقاد وزميليه إلى بناء القصيدة في الخيال والتشبيه واللغة.

تنظر مدرسة الديوان للتشبيه نظرة تنقل هذا التشبيه من مجال الحواس الخارجية إلى داخل النفس البشرية، إذ نراهم يطالبون بأن يكون الهدف من التشبيه هو نقل الأثر النفسي للمشبه من وجدان الشاعر إلى وجدان القارئ، وبذلك فتحوا الباب أمام التعبير الرمزي، وها هو"شكري"يتحدث عن التشبيه و وظيفته الفنية في مقدمة ديوانه الخامس "الخطرات" الصادر عام 1916م إذ يقول " ومثل الشاعر الذي يرمي التشبيهات على صحيفته من غير حساب، مثل الرسام الذي تسره مظاهر الألوان فيملأ بها رسمه من غير حساب، وليس الخيال مقصوراً على التشبيه، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها، ولا يراد التشبيه لذاته، وإنما يطلب لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان..".

---

[1] المرجع السابق: ص83.

تعتبر جماعة الديوان الخيال وسيلة فاعلة لإدراك الحقائق وترى الشعر تعبيرا عن الحقيقة لا تمويهاً لها، والشعر عنهم منظار الحقائق والخيال لا ينشط عن ذاته التعبيرية التي هي التشبيه أوالمجاز الشعوري على حد تعبير "المازني"

الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة ويشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته أما التشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير، وإنما يراد لشرح العاطفة أو توضيح حالة أو بيان حقيقة.

ه/- قضية وحدة القصيدة: تنسب قضية الوحدة العضوية في القصيدة إلى جماعة الديوان، فهي من لفتت الانتباه إلى تفكك القصيدة العربية القديمة ومن ذلك دعت إلى أن تكون القصيدة عملا فنياً تاماً يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل الجسم الحي بأعضائه، والعقل بجواهره، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، وفيها انتقد"العقاد" شعر "شوقي".

يعترف العقاد أن شكري كان أسبق منه ومن المازني في الحديث عن الوحدة العضوية ومن السمات التي يمتاز بها الشعر الذي تتوفر فيه الوحدة العضوية:

1- طول النفس، وهي السمة الأولى في نظر "العقاد".

2- صلاحية القصيدة الواحدة من هذا الشعر أن يوضع لها اسم، وأن تقع تحت عنوان ولتحقيق ذلك لابد من:

أ- أن تكون لها خصائص معينة تصلح لأن يشار إليها باسم من الأسماء.

ب- ذات موضوع واحد يمكن وضعه تحت عنوان.

إذن الوحدة العضوية هي وحدة القصيدة في الشعر الغنائي وتعطي الوحدة العضوية الشعور المتدفق من أول بيت إلى آخر بيت جمالا يحكم القصيدة، هذا عند "العقاد"، أما عند "شكري" فهي العلاقة بين المعنى والموضوع، ويراها "المازني" في وحدة الغرض الذي تتسم به القصيدة من أولها إلى آخرها.

و/- قضية التجديد في القالب الشعري: نادت الجماعة إلى التجديد في القالب الشعري ومثلت لذلك بالموشحات التي خرجت عن إطار القصيدة العربية القديمة، فكان تجديد الجماعة من خلال دعوتهم للتحرر من قيد الوزن والقافية لأن الالتزام بذلك يؤدي إلى الملل بسبب تكرر نغمة واحدة على الأذن، وإن كان "العقاد" قد عدل عن هذا الرأي وأصبح من المناصرين للشعر العمودي مع إباحة التنوع في القصيدة ذات المقطوعات ،أما "شكري" فقد ألغى القافية في عديد من قصائده، وبذلك تزغم حركة الشعر الحر.

نادت الجماعة بالحفاظ على اللغة وعدم الاعتداد بها واشترطت في اللفظ ألا يخرج عن القواعد اللغوية المعروفة وقالت بأن الأساليب والألفاظ التي كانت مستعملة قديما لظروف اجتماعية وفنية لا ينبغي أن تستعمل اليوم إلا إذا كان استعمالها لا يتنافى مع ظروف حياتنا المعاصرة.

ونادت بأن يتحرر الأدب من الصنعة اللفظية المملة المتكلفة، وقالت بأن يكون المعنى منبعث من الروح التي ينبغي أن يهتم بها الأديب والشاعر لأنه إذا اتضحت له المعاني استقامت له الألفاظ.

ولعل ما مكن لهذه الجماعة (المدرسة) في ميدان النقد أن حرص أصحابها حرصاً شديداً على تعاليم نقدية من الممكن أن نلخصها فيما يلي:

1- الدعوة إلى وحدة القصيدة العضوية.
2- الابتعاد عن المدح وشعر المناسبات.
3- الاعتماد على العاطفة والصدق الفني.
4- الاهتمام بالطبيعة والاندماج فيها.
5- محاربة التقليد والدعوة إلى شعر يمثل البيئة والعصر.

ونخلص من كل ما سبق إلى القول أن تجديد جماعة الديوان لم يكن تقليداً أعمى لنظريات الغربيين، في النقد بل كان وليد استفادة واعية وهادفة، وقد حافظت المدرسة على خصائص الأدب العربي، وكان للثقافة العربية لأعضاء الجماعة الفضل الكبير في هذه الأصالة كما خدمت الجماعة التراث العربي القديم واتصلت به اتصالاً وثيقاً أظهرته الدراسات التي قدموها لمشاهير الأدب والنقد. وقد ظلت الجماعة متمسكة بمواقفها النقدية التجديدية.